إنّ الحمد لله نحمده و نستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿ يأيها ألذ بن آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون﴾ [1]

﴿ يا أيها النّاس اتقوا ربّكم الذي خلقكم من نّفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساء لون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾ [2]

﴿ يأيها الذين آمنوا ا تقوا الله وقولوا قولا سد يدا يصلح لكم أعما لكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ﴾ [3]

أمّا بعد: فإن أ صد ق الحديث كتاب الله عزّ وجلّ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وعلى آ له وسلم، وشر الأمور محدثاتها،و كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلا لة، و كل ضلالة في النار.

وبعد : فإن الله افترض على العباد طاعة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ومحبته وتوقيره والقيام بحقوقه ، فشرح الله له صدره ، ووضع عنه وزره ، ورفع له ذكره ،فقام المسلمون بأداء ما افترضه الله عليهم من محبة نبيه وتوقيره وإكرامه وبره واتباعه وطاعته حق قيام ، وظهر من حبهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما جعلهم يفدونه بكل عزيز وغال ، ويؤثرونه على الأهل والأوطان والأموال ، حتى باعوا أنفسهم وأموالهم لرب العالمين ، نصرة لدينه ، ونشرا لتعاليمه في العالمين ، فرضي الله عنهم أجمعين .

وفي هذه الورقة أتناول موضوع *محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم* بشيء من الإيجاز وذلك في مسائل ذوات عدد آمل أن تكون وافية بطرف من هذا الموضوع العظيم، ولا يسعني إلا أن أشكر إخواننا القائمين على مركز البحوث الإسلامية في السويد وعلى

---

[1] آل عمران:١٠٢

[2] النساء:١

[3] الأحزاب:٧٠-٧١

رأسهم فضيلة الشيخ عبد الحق التركماني على دعوتهم واستضافتهم الكريمة لي بمناسبة مؤتمرهم الأول سائلا المولى عزوجل أن يكلل أعمالهم كلها بالتوفيق والنجاح .

ويتكون البحث من عدة مسائل :

المسألة الأولى: حقيقة المحبة..

باعتبار المحبة حالة نفسية لا شعورية لا تظهر إلا آثارها فقد واجه من تعرض لحدها وبيان حقيقتها صعوبة بالغة، فكانت أكثر حدودهم منصبة على آثارها لا على ذاتها.

فهذا الإمام ابن القيم رحمه الله بعد ذكر ثلاثين حدا للمحبة يقول: " لاتحد المحبة بحد أو ضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاء وجفاء، فحدها وجودها ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة، وإنما يتكلم الناس في أسبابها وموجباتها وشواهدها وثمراتها وأحكامها،فحدودهم دارت على هذه." [1]

ومن هذا المنطلق يمكن تقريب معنى محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنها:" *سكون القلب إلى محبته أكثر من جميع الناس سكونا ينتج منه التزام الجوارح بطاعته."*

المسألة الثانية: حكم محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

إن محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان، وأكبر أصوله، وأجل قواعده، بل هي أصل كل عمل من أعمال الدين والإيمان.

ومن هنا ربط الشارع بين المحبة وبين الإيمان فقال صلى الله عليه وآله وسلم: " لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِده وَوَلَده وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. " (متفق عليه من حديث أنس)

وفي رواية مسلم:" لا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِه وَمَالِه وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ."

فنفى الإيمان عمن لا يقدمه في المحبة على أكثر الأشياء قربا من قلب الإنسان، فتقديم محبة غيره على محبته دليل على وجود انحراف شديد في الدين، وأما انتفاء محبته بالكلية عن القلب فيدل إما على كفر بواح، أو نفاق مكشوف.

---

[1] مدارج السالكين ٣/٩-١٣

المسألة الثالثة: مراتب محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

١- طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتقديمها على طاعة كل أحد، وإن كان أحد الوالدين، أو أكثر المشايخ مهابة وجلالة في العيون، وإن كان النفس أو الهوى.

روى ابن جرير الطبري عن الحسن رحمة الله عليهما قال: "كان ناس على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقولون : يا رسول الله إننا نحب ربنا حبا شديدا فأحب الله أن يجعل لحبه عَلَما فأنزل: ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾

والمقصود أن مجرد الادعاء لا يكفي بل لابد من المتابعة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ويظهر ذلك فيما إذا عرض للإنسان أمران متناقضان : أحدهما يحبه الله ورسوله وليس لنفسه فيه هوى، والآخر تحبه نفسه وتشتهيه ولكنه يفوت عليه محبوبا لله ولرسوله وينقصه أو ينقضه، فإن قدم ما يحبه الله ورسوله صار صادقا في دعواه، وإن قدم ما تحبه نفسه وتهواه على ما يحبه الله ورسوله دل ذلك على أنه كاذب في دعواه محبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

والناس لا يختلفون في دعوى محبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بل يختلفون في اتباعه، ولا يخفى أن محبته محبة شرعية لا تجتمع مع تعمد مخالفة أمره.

تَعصي الإله وأنت تزعم حبه *** هذا محال في القياس بديعُ

لو كان حبك صادقا لأطعته *** إن المحب لمن يحب مطيعُ

٢- تسليم القلب ورضا النفس عند تنفيذ أوامر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

إذ ليس المقصود من طاعة أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يؤدي المسلم أوامره وهو كاره ، وقد جاء صريحا في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً ﴾النساء٦٥

٣- عدم معارضة أوامره بالتشهي والفكر.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ قال ابن كثير رحمه الله:" قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: ﴿ لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ : لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة.

وقال العَوْفي عنه: نهى أن يتكلموا بين يدي كلامه.

وقال مجاهد: لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشيء، حتى يقضي الله على لسانه.

وقال الضحاك: لا تقضوا أمرا دون الله ورسوله من شرائع دينكم.

وقال سفيان الثوري: ﴿ لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ بقول ولا فعل. [1]

وقال الشنقيطي رحمه الله "والمعنى لا تتقدموا أمام الله ورسوله : فتقولوا في شيء بغير علم ولا إذن من الله ، وهذه الآية الكريمة فيها التصريح بالنهي عن التقديم بين يدي الله ورسوله ، ويدخل في ذلك دخولاً أولياً تشريع ما لم يأذن به الله وتحريم ما لم يحرمه ، وتحليل ما لم يحلله ، لأنه لا حرام إلا ما حرمه الله ولا حلال إلا ما أحله الله ، ولا دين إلا ما شرعه الله ." [2]

وذلك بأن يبني المسلم فكره ومنهجه على ما جاء في الكتاب والسنة، ولا يقدم عليهما رأيا ولا فكرا ولا منهجا مستوردا ، وقد ضل فئام من الناس بسبب تقديم ما لديهم من الآراء والأفكار التي يقدسونها ويعتبرون النصوص الشرعية محكومة بالعقول وليست حاكمة.

٤- ترك التقليد الأعمى والتعصب للآراء والمذاهب والعادات والتقاليد المخالفة للسنة:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾البقرة١٧٠

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلى مَآ أَنزَلَ الله وَإِلَى الرسول قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾ المائدة : ١٠٤

---

[1] تفسير القرآن العظيم.. ونحو في تفسير الطبري.

[2] أضواء البيان عند تفسير الآية المذكورة.

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتبعوا مَآ أَنزَلَ الله قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَآءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشيطان يَدْعُوهُمْ إلى عَذَابِ السعير ﴾ لقمان : ٢١،

وقال تعالى : ﴿ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً مِّن قَبْلِه فَهُم به مُسْتَمْسِكُونَ بَلْ قالوا إِنَّا وَجَدْنَآ آبَآءَنَا على أُمَّةٍ وَإِنَّا على آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ وَكَذَلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا من قَبْلِكَ في قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ آبَآءَنَا على أُمَّةٍ وَإِنَّا على آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بأهدى ممَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَآءَكُمْ ﴾ الزخرف : ٢١-٢٤، وقال تعالى : ﴿ قالوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا ﴾ إبراهيم : ١٠ إلى غير ذلك من الآيات .

وبناء على هذه الآيات الكريمات لا يجوز لمسلم أن يقدم قول أحد كائنا من كان على قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقيها كان أم مطاعا أم سلطانا أم غير ذلك وذلك من مقتضيات محبته.

قال الشاطبي رحمه الله : «ولقد زل بسبب الإعراض عن الدليل والاعتماد على الرجال أقوام خرجوا بسبب ذلك عن جادة الصواب ، واتبعوا أهواءهم بغير علم ، فضلُّوا عن سواء السبيل » [1].

والعلم الشرعي المعتبر هو ما جاء في كتاب الله أو في السنة، أو أثر عن الصحابة رضوان الله عليهم، ولا يجوز معارضة ذلك برأي أو فكر:

العلم قال الله قال رسـوله *** قال الصحابة ليس بالتمويه

ما العلم نصبك للخلاف سفـاهة *** بين الرسول وبين رأى فقيه.

٥-ترجمة المحبة إلى سلوك حسن وخلق رفيع في التعامل مع الآخرين.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «.. وخالق الناس بخلق حسن » رواه الترمذي وصححه وأحمد والدارمي وحسنه الألباني.

وهذه قاعدة عظيمة في التعامل مع الخلق، أن تخالقهم بخلق حسن.

وحسن الخلق فضله كبير كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم [1]»، وكما في الحديث الآخر:« إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق [2]».

---

[1] الاعتصام :٣٤٧/٢

حسن الخلق هذا لا يكلفك شيئاً، ولكنه بابٌ عظيمٌ جداً من أبواب الخير، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان أحسن الناس خلقاً ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾القلم:٤ أي: مع الله، ومع الخلق، ومع كل من يتعامل معه؛ فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تعامله مع أصحابه أرأف الناس، وأفضل الناس، وأحسن الناس خلقاً، حتى مع الدواب التي لا يأبه لها كثيرٌ من الناس، وورث هذا الهدي أصحابه والتابعون، وأهل الخير، وأهل الصلاح والفضل في هذه الأمة.

فإذا قرأت سيرة الرجل منهم تجد أنك أمام خصال عظيمة: تسامح، وعزة نفس، وكرم، وإيثار، ومحبة، وتضحية، وترفع عن الانتقام للنفس أو الانتصار لغير دين الله عز وجل.

لذا كان أكثر ما فتح الله تبارك وتعالى به قلوب العالمين وأدخلهم في دين الله أفواجاً، ليس أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم حملوا السيوف وقاتلوهم، لكن أكثر ما كان ذلك أنهم فتحوا القلوب بأخلاقهم ومعاملاتهم.

ذلك لأن الأخلاق الرفيعة والمعاملة الحسنة هي الدليل المحسوس من الآخرين، بل هو نصيبهم من دين المرء، فصلاته وصيامه وعقيدته كلها لصالحه، وإذا استقامت له هذه العبادات كان أوضح دليل على ذلك ما يحصل منه من التعامل مع الآخرين.

٦- تعلم سننه وآدابه.

ذلك لأن الاقتداء لا بد أن يسبقه العلم بحال المقتدى به، فمن لم يعرف سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأحكامه، ومواقفه، وآدابه لم يتيسر له الاقتداء به، إذ كيف يقتدي بمجهول عنده لا يعرف شيئا عن دينه وحياته.. وجامع ذلك:

١. أن يجد معلما كفءً يأخذ بيده في العلم حتى لا يضل.

٢. وأن يكون معلمه هذا من أهل الخلق والدين يريه من نفسه تطبيقاً عملياً لما تعلمه منه.

٣. أن يحذر من الركون إلى الكتيبات والنشرات والمواقع دون الرجوع إلى المشايخ.

٤. أن يحذر من الاستقلال المبكر قبل التأهل للإقراء والتصنيف.

٧- ترك الابتداع في الدين.

---

(١) رواه أبو داود وصححه الألباني.

(٢) رواه البزار وحسنه الحافظ في الفتح.

قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:" قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ." [1]

والابتداع في يتضمن كثيرا من المخاطر ،منها:

١. اتهام الشارع بالجهل أو بالكتمان.

٢. اتهام الدين بالنقص وعدم الكمال.

٣. فتح باب التشريع على مصراعيه.

٤. تشويه صورة الإسلام .

٥. مخالفة كل النصوص الواردة في الأمر بالاعتصام بالكتاب والسنة.

٦. تعريض النفس لعقوبة من خالف السنة.

وجملة القول أنه بمنطوق هذه النصوص لا يعد محبا للرسول صلى الله عليه وآله وسلم من خرج عن الاتباع ولجأ إلى الابتداع.

وأخيرا : ينبغي أن نعلم أن الناس يختلفون في مراتب المحبة اختلافا عظيما، فمنهم من طبق كل هذه المراتب وهم أهل الحق الذين تمسكوا بالكتاب والسنة، ومنهم من كان نصيبه في جزء ضئيل من هذه المراتب ، ومنهم من ليس له نصيب في ذلك وإنما دينه كله دعاوى والعياذ بالله، فليحرص المسلم الناصح لنفسه على ملازمة هذه المراتب وعدم مفارقتها ما كان في العمر بقية .

أسأل الله تعالى أن ييسر لنا سبل التمسك والاعتصام بهدى الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة عقيدة وعبادة وسلوكا، وأن يجنبنا الحيف والانحراف عن منهج السلف الصالح أهل السنة والجماعة في العقيدة والعبادة والسلوك..

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

غوتيبورغ –السويد –المؤتمر –يناير–٢٠٠٩م

---

[1] متفق عليه من حديثها.